

## إشكالات الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم؛ دراسة وصفية

### Problems of the Terminological Study of the Holy Quran; Descriptive Study

الباحثة: حورية بوايكادر

جامعة سيدي محمد بن عبد الله

سايس - فاس (المغرب)

houriabouiygader2016@gmail.com

تاريخ القبول: 2020/09/21

تاريخ الإرسال: 2020/08/15

#### ملخص:

من المعلوم في كلِّ عصر ومصر أنّ المصطلحات مفاتيح العلوم، لأنّ العلوم مختزلة في مفاهيم، والنفاذ إلى أسرارها وخباياها يتطلب التمكن من مداخيلها الطبيعية التي هي المصطلحات، خاصة إذا تعلق الأمر بمصطلحات القرآن الكريم التي يجب الوقوف على معانيها الدقيقة، لأنّها المفتاح لفهم الدين واستيعاب مسأله، لهذا كان لزاما الوقوف عند مصطلحاته باهتمام بالغ حتى تتمكن من استيعاب المعاني السامية التي يحض عليها القرآن الكريم، ويرى أنصار المدرسة الفاسية وعلى رأسهم الدكتور الشاهد البوشيخي أنّ منهج الدراسة المصطلحية النموذج الأمثل لدراسة المصطلحات، ويهدف هذا المنهج إلى بيان معانيها وفق منهج علمي متكامل من شأنه أن يوصل الباحث إلى فهم عميق، واستيعاب دقيق لكلِّ ما يتعلق بالمصطلحات بجانب المتن الواردة فيه. وعلى الرغم من دقة هذا المنهج وعلميته في دراسة المصطلح فإنّ الباحث في المصطلح القرآني يصادف العديد من الإشكالات، لأنّ المصطلح القرآني يقتضي خصوصية في تناول والدراسة لقداسته وربوية مصدره. لهذا يجب مراعاة خصوصية مصطلحات القرآن الكريم أثناء تطبيق منهج الدراسة المصطلحية للوقوف على معانيها الدقيقة.

الكلمات المفتاحية: الدراسة المصطلحية، المصطلح القرآني، دراسة وصفية، المفاهيم.

**Abstract:**

It is known in every epoch and every place that terms are the keys to science, because science is reduced to concepts, and the access to its secrets and mysteries requires mastery of its natural intrins which are the terms, especially if it comes to the terms of the Holy Quran, whose accurate meanings must be grasped, because it is the key to understand the religion and its issues, that's why it was mandatory to stop at its terminology with great interest in order to realise the lotfy meanings that the Holy Quran urges. Moreover, the supporters of the Fassian School, headed by Dr. Al-Shahid al-Bouchikhi, believes that the terminological study methodology is the ideal model for studying terminology. This methodology aims to explain its meanings according to an integrated scientific method that would lead the researcher to a deep understanding and an accurate comprehension of everything related to the terminology besides the text contained in it.

Despite the accuracy and science of this method in studying the term, the researcher in the Quranic text encounters many problems, because the Quranic text requires scrutiny in dealing it and studying its holiness and the divinity of its source. That is why it is necessary to take into account the peculiarities of the terms of the Holy Qur'an while applying the terminology methodology to find out their precise meanings.

**Keywords:** terminology study, Quranic text, the terminology, Descriptive Study, Concepts.

**مقدمة:**

يعتبر القرآن الكريم كتاب الله الخالد، ومعجزة الرسول العظيمة، ودستور هذه الأمة الذي به تنتظم الحياة، وترقى المجتمعات، وتستقيم الأنفس، وقد أورد فيه سبحانه وتعالى كنوز العلم والمعرفة وقواعد الهداية في نسق مفاهيمي شديد الإحكام عميق المعنى. كما

يزخر هذا الكتاب الحكيم بذخيرة مصطلحية مهمة تختزل المفاهيم الكلية والجزئية المكونة للدين، التي تستلزم التمعن الدقيق والفهم السليم، ولا سبيل إلى تحقيق هذه الغاية دون البحث في المصطلحات والوقوف عليها بالدراسة والتحديد، وفق الدراسة المصطلحية التي تهدف إلى دراسة المصطلحات وفق منهج علمي متكامل لمعرفة دلالتها الحقيقية والعميقة وبالتالي التمكّن بناصية العلم الذي تنتمي إليه. لأنّ المصطلحات هي المفاتيح التي تفتح بها أقفال العلوم، ولعلّ هدف منهج الدراسة المصطلحية الأسمى هو تبين وبيان المصطلحات بدقة، وبالتالي التمكّن من ناصية أي علم من العلوم.

إذن ما المقصود بالدراسة المصطلحية؟ وما أهمية الدراسة المصطلحية للمصطلح القرآني؟ وماهي الصعوبات والإشكالات التي تواجه دارس المصطلح القرآني وفق منهج الدراسة المصطلحية؟

### 1- مفهوم الدراسة المصطلحية:

تعدّ الدراسة المصطلحية بوابة لولوج أي علم، لأنّ العلوم مختزلة في المفاهيم، والنفاذ إلى أسرارها وخبائرها يتطلب التمكّن من مداخلها الطبيعية التي هي المصطلحات، فالدراسة المصطلحية تعدّ المنطلق الصحيح، والطريق السديد الذي يجب أن يتبعه الباحث ليتمكن من التدقيق في معاني المصطلحات، وتصحيح ما حقه التصحيح، سواء كان ذلك بسوء القصد أو بسوء الفهم، وهذا يتأتى بمنهج الدراسة المصطلحية للمصطلحات، التي هي بمثابة مفاتيح للعلوم على اختلاف مناهجها وموضوعاتها، إذ انبنت وتأسست هذه العلوم وفق نسق مفاهيمي يتعالق ويتداخل في ما بينه، ويستلزم فهمه معرفة دلالات المصطلحات المكونة له باعتبارها مفاتيح، ومفتاح هذه المفاتيح هو منهج الدراسة المصطلحية، فما مفهوم الدراسة المصطلحية؟

الدراسة المصطلحية ضميمية وصفية مكونة من لفظين أحدهما: الدراسة وهي في اللغة مشتقة من الجذر اللغوي (درس) بمعنى: البحث والتحقيق<sup>(1)</sup>، والدرس يعنى الطريق الخفي ودرس الشيء، والرسم يدرس درسا بالضم: عفا. ودرسته الريح درسا: إذا تكررت عليه

فعفته، ودرسه القوم: عفوا أثره<sup>(2)</sup>، فالدراسة بمعناها اللغوي تدلّ على البحث والتحقيق والعفاء. في الاصطلاح يقول الراغب الأصفهاني: "درس الدار معناه: بقي أثرها، وبقاء الأثر يقتضي انمحاءه في نفسه، فلذلك فسر الدروس بالانمحاء، وكذا درس الكتاب ودرست العلم: تناولت أثره بالحفظ، ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن إدامة القراءة بالدرس"<sup>(3)</sup>، والدراسة بهذا المعنى تناول الشيء المدروس بالقراءة والحفظ وإدامة العمل عليه، من أجل الإلمام والإحاطة بكلّ ما يتعلق به لحصول العلم والمعرفة به.

والآخر مصطلحية: لم يرد في حقيقة الأمر لفظ المصطلح في اللغة وإنما ورد لفظ الاصطلاح الذي يرجع أصله إلى مادة (ص.ل.ح) وهو ضد الفساد يقول ابن فارس: "الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد"<sup>(4)</sup>، كما تتحدد هذه المادة بمعنى الصلح والاتفاق والتعارف، كما ورد عند ابن منظور: "اصطلاح الناس: زال ما بينهم من خلاف، توافقوا وزال تخصمهم، واصطلاح القوم على الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا"<sup>(5)</sup>. أما في الاصطلاح يقول الجرجاني: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح اتفاق قوم على طائفة على وضع اللفظ إزاء المعنى"<sup>(6)</sup>. إذن يمكن أن نقول إنّ الاصطلاح اتفاق جماعة ينتمون إلى مجال أو تخصص معين على تسمية شيء معين بلفظ ليدلّ عليه. وهنا يجدر بنا أن نميز بين الكلمة واللفظ والعبارة. فالكلمة هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد يتخذ قيمته داخل استعمال المتكلم، واللفظ هو صوت مشتمل على بعض الحروف ولا يلزم أن يكون له معنى، ويمكن أن نسميه كلمة إن كان دالا على معنى، أما العبارة هي كل تركيب أو جملة تفيد معنى.

ويعرف أهل الاختصاص الدراسة المصطلحية بتعريفات عديدة أهمها تعريف الدكتور الشاهد البوشيخي: "أنها ضرب من الدرس العلمي لمصطلحات مختلف العلوم، وفق منهج خاص بهدف تبين وبيان المفاهيم<sup>(7)</sup> التي عبرت أو تعبر عنها تلك المصطلحات في كلّ علم، في الواقع والتاريخ معا"<sup>(8)</sup>، ويعرفها كذلك الدكتور فريد الأنصاري بأنّه: بحث في

المصطلح لمعرفة واقعه الدلالي من حيث مفهومه وخصائصه المكونة له وفروعه المتولدة عنه ضمن مجاله العلمي المدروس به. أمّا الدكتور إدريس الفاسي الفهري فيعرفها بأنها: "منهج من مناهج البحث، موضوعها النصوص، وهدفها تعريف المفاهيم المتضمنة في النص موضوع الدراسة، ولها مراحل وهي الإحصاء، والدراسة المعجمية، والدراسة النصية، والدراسة المفهومية، والعرض المصطلحي"<sup>(9)</sup>.

إذن الدراسة المصطلحية هي الدراسة العلمية للمصطلح، وفق منهج خاص، بهدف معرفة دلالاته بدقة في الواقع والتاريخ، وخصائصه وفروعه، موضوعها النصوص، وهدفها تعريف المفاهيم.

## 2- أهمية الدراسة المصطلحية للمصطلح القرآني:

لقد بدأ الاهتمام بالمصطلحات خاصة مع انتشار الإسلام، واتساع الحقل المعرفية وتطور اللغة العربية وازدهارها، حيث أصبحت الحاجة ماسة إلى وضع مصطلحات تسائر هذا التطور؛ إذ أصبح لكلّ حقل معرفي مصطلحاته الخاصة التي تعبر عن مفاهيمه والتي تكتسي دلالات خاصة داخله. فمع كلّ تطور علمي يتزايد عدد المفاهيم التي تتطلب إيجاد مصطلحات تمثلها وتحتزل دلالتها بشكل دقيق، كما يتضح من خلال قول علي القاسمي: "فالوحدة التي لا انفصال لها بين المفهوم والمصطلح قائمة على التعريف العلمي الدقيق ومصطلحات علم محدد من العلوم تشكل فيما بينها نظاما لا يحقق الغاية من وجوده ما لم تكن العلاقات المتبادلة بين عناصره متميزة دلاليا ومتجاوبة مع النظام المفهومي لعلم من العلوم حتى نحقق تصنيفا مفهوميا يقوم على أسس موضوعية ومنطقية"<sup>(10)</sup>. وهكذا، فإنه لا سبيل إلى اقتحام هذا الحقل أو ذاك دون استيعاب دلالات مصطلحاته ومفاهيمه، وهذا ما يؤكد الدكتور الشاهد البوشيخي في قوله: "إنما تؤتى البيوت من أبوابها، وأبواب كلّ علم مصطلحاته، بل إنّها خلاصة البحث في كلّ عصر ومصر، ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم، وفي تطورها يتلخص تطور العلم"<sup>(11)</sup>.

إنّ البحث في عالم المصطلح هو بحث في الهوية والشخصية والذات "ذلك أنّ المصطلحات هي قواعد الارتكاز الثقافي والحضاري، وهي المعالم الفكرية التي تضبط هوية الأمة، وهي فضلا عن هذا أوعية للتواصل بين أفراد الأمة جيلا بعد جيل"<sup>(12)</sup>، خصوصا إذا تعلق الأمر بالمصطلح القرآني الذي يعدّ مفتاحا لمعرفة أحكام وغايات الدين ويحتزل قيما ومبادئ من شأنها أن تسهم في تطور المجتمعات وحضارتها. ولكن لما "غفلت الأمة عن هذا الجانب الأساسي من جوانب بنائها الحضاري، اضطرت مفاهيم علومها، والتبست مصطلحاتها، وتخلّفت بالتالي عن مسايرة الركب الحضاري، ودبّ التصدع والفرقة في كيانها الثقافي"<sup>(13)</sup>. لأنها تعكس تراث الإنسان وماضيه وخصوصياته الحضارية والثقافية والدينية وإذا ما غابت انصهرت الذات معها. وبناء على ذلك، يمكن القول إنّ السبيل الوحيد لاقتحام أيّ علم من العلوم وفهمه هو الدراسة المصطلحية للمصطلحات، فبواسطتها يمكن رفع اللبس عن المصطلحات وإزالة الغموض الذي يشوب بعض المفاهيم، والخلط الذي يمكن أن يقع بين بعضها، وتحديد دلالتها المقصودة بشكل دقيق.

ولقد كان لمجيء الإسلام الفضل في ظهور مجموعة من العلوم والحقول المعرفية؛ التي تخدم الوحي الإلهي قرآنا وسنة، كعلوم الحديث، وعلوم القرآن، وكتب التفسير... مما أدى إلى ثورة مصطلحية مصاحبة لهذه العلوم. ولما كان هذا الوحي عبارة عن نسق مكون من مجموعة مفاهيم؛ وجب فهم حقيقة هذه المفاهيم ودلالاتها العميقة، بعيدا عن كلّ خلط، أو تحريف في المفهوم والمعنى، وهذا لن يتأتى إلا بفقه النسق الذي يعدّ السبيل إلى فهم الدين "ذلك لأنّ النسق نسق مفاهيم، ومجموع مفاهيم، منسوقة أفقيا وعموديا، هو صورة الدين (...). إنّ الدين مفهوما خلقه سوية مضبوطة المكونات، والمقاييس، والأبعاد، والرتب، وأي تغيير يمسّ شيئا من ذلك ليس منه، هو تغيير لدين الله، ولخلق الله، ولفطرة الله"<sup>(14)</sup>، من هنا تتبين خطورة الفهم الخاطئ لمفاهيم مصطلحات القرآن الكريم؛ الذي يؤدي لا محالة إلى تحريف النص القرآني، ومن ثمّ تشويه معاني آياته وعدم فهم أحكامه.

إنّ المتأمل لآيات القرآن الكريمة يجدها شديدة الإحكام، عميقة المعنى، منظومة بشكل متين وبديع مصداقا لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مُّهِمٌّ آيَاتُهُ ثُمَّ نُصَلِّتُ مِنْ لَدُنْ حَمِيمٍ حَبِيرٍ﴾ (سورة هود، الآية: 2)، وقد يكون للفظ القرآني دلالات متعددة حسب سياقات ورودها "والقرآن الكريم وهو ينتزل كان يعطي ألفاظه؛ التي هي عماد الدين معاني محكمة في العقيدة أو الشريعة، إجمالاً أو تفصيلاً، ولو تتبع الباحث الاستقراء الكامل لمواطن ورود اللفظ الواحد لأمكنه الوقوف على معاني اللفظ الجمّة، وعلى حقيقته، والمراد منه في هذا المواطن أو ذاك سواء اتحدت المعاني أو اختلفت، وكان ذلك خير معين لفهم المراد من كلام الله تعالى في كتابه"<sup>(15)</sup>، إضافة إلى هذا فقد جاءت بعض الآيات لتصحيح بعض المفاهيم؛ بل منع استعمالها أحياناً كما تبين الآية الكريمة: الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا نَعْمًا وَتَوَلَّوْا أَلْسِنًا وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نُرِثُ آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (سورة البقرة، الآية: 103)، فأصل كلمة "راعنا"، على سبيل المثال، من الرعاية وهي النظر في مصالح الإنسان، وقد حرفها اليهود فجعلوها كلمة مسبة، مشتقة من الرعونة والحمق، لذلك نهي عنها، فمقصود "راعنا" في الآية الكريمة هي راقبنا وأمهلنا<sup>(16)</sup>.

وقد جاء في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور رحمه الله؛ أنّ سبب منع استعمال مصطلح "راعنا" في هذه الآية هو أنّ اليهود كانت لهم عبارة في العبرانية تشبه كلمه "راعنا" بالعربية، وتعني السب، وقيل تعني لا سمعت دعاء، فقال بعضهم لبعض، كُنَّا نسب محمدا فأعلنوا به الآن، فكانوا يقولون هذه الكلمة مع المسلمين ناوين بها السب فكشفهم الله وأبطل عملهم بنهي المسلمين عن قول هاته الكلمة حتى ينتهي المنافقون عنها، ويعلموا أنّ الله أطلع نبيه على سرهم<sup>(17)</sup>. وهذه الآية دعوة إلى ضرورة اجتناب الألفاظ التي من شأنها أن تنقص من قدر الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته الإسلامية، أو من شأنها أن تزيج المعنى المقصود إلى معنى آخر، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ لَآئِنَّا لَكُنَّا لَمُؤْمِنِينَ وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَرْجُلِ الْبَشَانِ فِي قُلُوبِهِمْ وَإِن تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَأَن يَلْبَثْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الحجرات، الآية: 14).

فقد زعم الأعراب أنهم آمنوا، وهم لم يؤمنوا بعد، لأنّ الإيمان تصديق مع ثقة واطمئنان القلب، ولا يحصل لهم ذلك لأنهم متّوا على الرسول الإسلام والمقاتلة، وقد دلّت الآية على أنّ الإيمان مرتبة أعلى من الإسلام؛ الذي هو الاستسلام والانقياد للظاهر<sup>(18)</sup>. فالنص القرآني هنا ميّز بين الإيمان الذي هو التصديق الثابت لله ورسوله النابع من القلب والإسلام الذي مقره اللسان (النطق بالشهادتين).

إنّ الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم هي اللبنة الأساسية الأولى لفهم مصطلحات القرآن الفهم الصحيح، ومن ثمّ فهم النصوص التي جاء بها الوحي الإلهي، كما قال الراغب الأصفهاني في مقدمة مفرداته "إنّ أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كلّ علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزيدته، وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم وإليها مفرغ حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"<sup>(19)</sup>.

فالنص عبارة عن مجموعة من المصطلحات، والمصطلحات لها مفاهيم، وفهم النص يستلزم فهم مصطلحاته ومعرفة مفاهيمها ودلالاتها الحقيقية، "ولا سبيل إلى فقه النسق، أو المفاهيم المكونة له، بغير دراسة ألفاظ القرآن الكريم دراسة مصطلحية، فهي مفتاح الوصول إلى ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآناً وسنة وهي المدخل المصطلحي المقطوع بأنّه من الوحي، واختيارها من الله جلّ وعلا، واستعمال السنة لها تابع لاستعمال القرآن فدراستها في القرآن والسنة تفضي إلى العلم بمفاهيمها وأنساقها المركبة... لكنّ ما مفتاح هذا المفتاح الذي يحلّ المفردات والمركبات؟ إنّه الدراسة المصطلحية لتلك الألفاظ، إنّه دراسة ألفاظ القرآن الكريم في الكتاب والسنة وفق منهج الدراسة المصطلحية"<sup>(20)</sup>.



والمصطلح القرآني على وجه الخصوص؛ يختزل مفاهيم سامية ودلالات عميقة تستلزم التمعن الدقيق، والفهم السليم، وهذا لن يتأتى إلا بالدراسة المصطلحية لمصطلحات القرآن الكريم، لفهم واستيعاب كل ما جاء به القرآن الكريم، ولعل هذا هو المقصد الأسمى من هذه الدراسة<sup>(21)</sup>.

وتكمن أهمية الدراسة المصطلحية للمصطلحات بصفة عامة؛ سواء مصطلحات القرآن أو غيرها من المصطلحات في عدة أمور حددها الدكتور الشاهد البوشيخي<sup>(22)</sup> على النحو التالي:

1- الموضوع: هو المصطلحات، إذ لا سبيل إلى فهم وتحليل وتعليل ظواهر أي علم دون معرفة المصطلحات ودلالاتها الحقيقية، كما لا يمكن للعلوم أن تتطور دون تطور المصطلحات، فتجديد أي علم رهين بتجديد مصطلحاته.

2- الهدف: يتمثل في تبيين وبيان مفاهيم المصطلحات، والمقصود بها "دراسة المصطلح ودلالته بهدف إيصاله إلى المتلقي في مقال يعبر بدقة عن الحال، وليس الهدف هو وضع المصطلح أو تعريبه أو توحيد استعماله<sup>(23)</sup>.

3- المنهج: وهو منهج علمي متكامل قائم بذاته، وله خمسة أركان: الإحصاء - الدراسة المعجمية، الدراسة النصية، الدراسة المفهومية، العرض المصطلحي.

4- الإشكالات: تتمثل في معضلة إعداد النص وقراءته، ومعضلة المنهج.

5- ضرورتها الحضارية بالنسبة للذات: يتعلق البحث في المصطلح بفهم الذات ماضيا ومستقبلا وحاضرا، بل إنها من أوجب الواجبات وأسبقها، وهي ضرورية وملزمة لكل باحث في أي فن من فنون التراث.

وعلى العموم فإن الدراسة المصطلحية، أضحت ضرورة حضارية وعلمية وشرعية ملحة تتعلق بالفهم الصحيح للمصطلحات، والاستيعاب الدقيق للألفاظ التي هي مرآة كاشفة عن كنه وجوهر العلم.

### 3- مقاصد الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم:

تعتبر المصطلحات مفاتيح العلوم والنظريات، فهي المدخل الأساسي إلى فهم أسرار أي علم، لأنها تختزل مضامينه ومحتوياته، وكذلك الشأن بالنسبة لمصطلحات القرآن الكريم فهي الطريق الموصل إلى ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا وسنة، فدراستها دراسة مصطلحية ستفضي إلى معرفة مفاهيمها ومعانيها، ومن ثم فهم الدين الفهم الصحيح بعيدا عن أي تحريف أو تشويه وتغيير. وهكذا، فإن دراسة المصطلح القرآني تعد ضرورة من الضروريات الحتمية الملحة، لعدة موجبات من أهمها:

أ- كون القرآن مجموعة من المفاهيم يستلزم فهمه فهم المفاهيم التي يتضمنها. ففهم القرآن الكريم رهين بضبط المصطلحات وعدم الخلط بين مفاهيمها، وذلك ما نلاحظه من خلال عدة آيات من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِرُوا وَلَكِنَّ تُؤْمِرُوا أَسْلَمْنَا﴾ (سورة الحجرات، الآية: 14).

ب- حصول تشوه في فهم بعض المصطلحات القرآنية: لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم بشكل محكم ومتقن بألفاظ دقيقة ومصطلحات مضبوطة، لدرجة أنه أعجز بلغاء وفصحاء العرب "لكن لما تعامل الناس مع هذه المصطلحات في مختلف الأعصار والأمصار، ألبسوها شيئا من بشرتهم، حيث زحزحوا بعض المصطلحات عن مواقعها، وكان حقها ألا تزحزح" (24)، وبذلك تغيرت دلالاتها ومعانيها على غير المراد بها؛ ومن ثم تغيرت النظرة إلى الدين الإسلامي والمسلمين، فأبي خلط وعدم فهم لمصطلحات القرآن من شأنه أن يؤدي إلى تحريف أو زيغ عن مقصد بعض الأحكام والشرائع المعبر عنها بالمصطلحات في النص القرآني، كما يؤكد الدكتور الشاهد البوشيخي من خلال قوله: "إن الدين مفهوما حلقة سوية مضبوطة المكونات والمقاييس والأبعاد، والترتب، وأي تغيير يمس شيئا من ذلك ليس منه، هو تغيير لدين الله، ولخلق الله، ولفطرة الله" (25).

ج- قدسية المصطلح القرآني بالنسبة لمصطلحات العلوم؛ فإن المطلع على النص القرآني سيجد لا محالة يكتنز كل مصطلحات العلوم الأخرى، ومن ثم فالباحث في

مصطلحات القرآن الكريم، يكون دارسا لأصل المصطلحات العلمية التي يحتويها القرآن، وهذا ما تؤكد فريدة زمرد في قولها: "لا يكاد يتبادر إلى الذهن مجال من مجالات العلوم والمعرفة، إلا ونجد له مصطلحات دائرة في النص القرآني، مستعملة فيه بشكل من الأشكال، حاملة لدلالة من الدلالات، سواء كانت من مصطلحات العلوم الشرعية، وتلك لها النصيب الأوفر، إذ في القرآن الكريم أصل المصطلح الفقهي، والأصولي، والعقدي، أو تعلق الأمر بمصطلحات العلوم الإنسانية عموما فلا يخلو القرآن من مصطلحات اللغة والأدب، ولا من مصطلحات التاريخ والاقتصاد والسياسة والاجتماع، كما لا يخلو أيضا من مصطلحات العلوم المادية"<sup>(26)</sup> فالحضور القوي لمصطلحات القرآن الكريم في مختلف العلوم؛ دليل على أنّ القرآن مصدر العلم ومنبع الحكمة والمعرفة.

د- كون الدراسة المصطلحية هي مفتاح المفتاح: إنّ دراسة المصطلحات القرآنية وفق منهج الدراسة المصطلحية؛ سيفضي إلى تحصيل معاني المفردات، وحل المركبات وبالتالي فهم الدين واستيعاب كلّ ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما بالنسبة لمقاصد الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم، فقد ميزت "فريدة زمرد" بين نوعين من المقاصد: المقاصد العلمية والمقاصد العملية<sup>(27)</sup>:

أ- **المقاصد العلمية**: تتمثل أولا؛ في ترسيخ المفاهيم الصحيحة للقرآن الكريم، وفهمها فهما متكاملًا، وضبط معانيها ودلالاتها، وتخليصها من اللبس والتحريف وسوء الفهم وثانيا، في تصحيح المفاهيم الخاطئة الناتجة عن كثرة النصوص الشارحة والمفسرة؛ التي أفسح بعضها المجال للخلط وسوء الفهم.

ب- **المقاصد العملية**: وتتمثل في تطبيق مقتضيات مصطلحات الوحي وإشاعة هذه المصطلحات بين الناس؛ باستعمالها نطقًا وخطًا، والعمل بمقتضاها باللسان والقلب والجوارح.

وخلاصة القول، إنّ ترسيخ المفاهيم الصحيحة يسهم في فهم ومعرفة غايات الوحي الحقيقية بعيدا عن أي لبس أو غموض، ويمكن من العمل بمقتضياته وتنزيله في الواقع الملموس، فيمثل بذلك الإنسان لأوامر الله ويجتنب نواهي.

#### 4- إشكالات الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم:

يعدّ البحث في المصطلح كيفما كان أمرا ليس بالهين، وهذا راجع إلى طبيعة كل مصطلح وخصوصية المجال الذي ينتمي إليه. ولعلّ الاهتمام الذي يحظى به منهج الدراسة المصطلحية؛ من قبل العلماء والباحثين في جميع مجالات العلم والمعرفة؛ راجع إلى كونه يراعي أثناء التطبيق خصوصية وطبيعة المصطلح والمجال الذي ينتمي إليه، فإذا كان البحث في المصطلح في أي مجال من المجالات يثير مجموعة من الإشكالات فإنّ البحث في مصطلحات القرآن الكريم يبقى أكثر صعوبة لأنّ فهمه رهين بفهم الأحكام الشرعية، لهذا فإنه يتطلب التسلح بعبء منهجية وعلمية، كما يتأكد من خلال قول الدكتور الينبوعي: "إذ المطلوب من الدارس لها أن يقطر نصوصها تقطيرا ويعصرها تعصيرا حتى يدنو من ثمارها وفواكهها ويسيطر على مفاهيمها ويجليها لنفسه أولا ثم لغيره ثانيا، وليس ذلك أمرا هينا بالنسبة لمصطلح قائله ربّ المخلوقات، ويده مفاتيح الملكوت، ووضعه في مكانه من النسق والدين هو الخبير العليم، وقصد منزله على فصحاء العرب هو إعجاز بلغاء العرب وصناع الكلام"<sup>(28)</sup> ذلك لأنّ مصطلحات القرآن الكريم المفاتيح الكاشفة عن مكنونه العلمي والمعرفي والشاملة على مسائل الدين وأحكامه وكلّ ما يتعلق به، ومقارنتها بالدرس المصطلحي تقتضي مراعاة طبيعة النص الذي تنتمي إليه، فالقرآن الكريم منذ نزوله وهو محل إكبار وإجلال لبلاغته وفصاحته وبيانه وحكمته، لأنّه يهدي إلى الصراط المستقيم، ويحض على طريق الصلاح والإصلاح، وينظم شؤون العباد تنظيما محكما بحكمه، ونظمه ليس بشعر ولا نثر وإنما هو كلام خاص به عز وجل، أفحم البلغاء والفصحاء منذ نزوله، لأنّه نسج وسبك على نحو فريد ومحكم. مخالف لما عهدوه في الشعر والنثر. لهذا وجب استحضار طبيعته أثناء تناول مصطلحاته بالدراسة المصطلحية.

إن تفسير مصطلحات القرآن الكريم، بعلو شأنها وقوتها الاصطلاحية وقداستها وجلالها، يستلزم دراستها داخل السياق الواردة في القرآن الكريم مع مراعاة مقتضى حال المخاطب، وأسباب النزول، بدل الاقتصار على معانيها ودلالاتها في المعاجم العربية فقط<sup>(29)</sup>، للنفاذ إلى الأبعاد الدلالية التي تكتنزها هذه المصطلحات فالعلم بأسباب النزول يبين دلالتها الحقيقية والمراد منها، فالأحداث والوقائع التي جرت في عهد الرسول ونزلت على إثرها السور لبيانها أو تفسيرها أو الحكم عليها يجلي معاني المصطلحات الواردة في السور بوضوح.

كما "توجد في مصطلحات القرآن الكريم من الخصوصية والخصوبة المفهومية، بحكم قرآنيته ما ليس لمثلها من الألفاظ، في أي علم من العلوم بحكم بشريتها"<sup>(30)</sup>، فالمصطلحات القرآنية تتميز بخاصية الاكتناز المعرفي حيث تختزل أبعادا دلالية واسعة ومتعددة وتحمل قضايا سامية رفيعة، ويتبين هذا فيما "يحملة المصطلح من دلالات معنوية ترتقي من مستوى المعاني الجزئية لتكون قضايا كلية كبرى ومبادئ عامة، بل وأصولا مذهبية أحيانا بحيث تلمي كل مصطلح قرآني يحمل من المعاني ما يشكل قضية كبرى من القضايا الدينية ذات الطابع العقدي الكلي في الغالب، فإذا بالبحث الدلالي فيه ينتقل بنا من فكرة إلى فكرة مكتملة لها، حتى الانتهاء إلى مبدأ متكامل، فكل مصطلح قرآني قد وضع إذن عنوانا لقضية كبرى وليس عنوانا لمعنى جزئي، فإذا ما أتينا على سبيل المثال مصطلح الخلافة في الأرض، تبين لنا أنه مصطلح وضع للدلالة على المهمة التي من أجلها خلق الإنسان، وأن مهمة الخلافة تلك تعني التعمير في الأرض ماديا باستثمار مرافقها، ومعنويا بترقية الذات الإنسانية فردا ومجتمعاً، وكل ذلك تطبيقاً لأوامر الله تعالى ونواهيه"<sup>(31)</sup>، فالنص الذي تنتمي إليه هذه المصطلحات ليس من إبداع وصنع الإنسان، بل هو كلام الله الجليل المعظم يستوجب الفهم الدقيق الصحيح، فهذا النص ليس كأني نص ودراسة مصطلحاته وفق منهج الدراسة المصطلحية يتطلب حذراً شديداً والأخذ بعين الاعتبار لخصوصياتها المميزة لها وسياقات ورودها لتقصي معانيها التي تكتسبها وفق المواضع الواردة فيه في النص القرآني.

**خلاصة:** إنَّ القرآن الكريم كنز حقائق، وكنز معان، يستلزم فهم مصطلحاته بشكل صحيح ودقيق لاستبصار مقاصد آياته، وبواطن مفرداته، كمصدر يقيني للعلم والمعرفة، الذي من خلاله يستمد الإنسان استقامته وتوازنه وثباته، لذا كان لزاما الوقوف على معاني مصطلحاته بشكل علمي دقيق، ويتبين أنَّ الدراسة المصطلحية أكثر أهمية في الاعتماد من المناهج الأخرى، نظرا لقيمتها الموضوعية والمنهجية والمقصديّة، التي تتأسس على منهج علمي دقيق ومتكامل يراعي خصوصية وطبيعة كلّ مصطلح. وهذا الأمر الذي جعل الدارسين يهتمون في دراسة المصطلحات إليه؛ من أجل تحديد معانيها ومعرفة حقيقتها الدلالية التي تكتنزها في السور مع مراعاة خصوصياتها أثناء تطبيق قواعد هذا المنهج كخاصية القدسية، وخاصية الإنزال والتنزيل، وخاصية الاكتناز المعرفي، وغيرها.

### الهوامش والإحالات:

- (1) - لسان العرب، ابن منظور الإفريقي المصري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1990م. مادة (درس).
- (2) - تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي الحنفي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان، 1994م، مادة(درس).
- (3) - مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، الطبعة الرابعة، 2009م. مادة (درس).
- (4) - مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، 1991. مادة (صلح).
- (5) - لسان العرب لابن منظور، مادة: (صلح).
- (6) - التعريفات للجرجاني، التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، ط3، 1990م. (لاصطلاح).
- (7) - أي "تبيين المراد بدقة من ألفاظ أي علم، في واقعه وعبر تاريخه، ولدى مثليه، أفرادا وطوائف، وبيان المراد منها بدقة كذلك للناس في الواقع والتاريخ معا، ولدى الأفراد والطوائف الممثلة جميعها". نظرات في المصطلح والمنهج، الدكتور الشاهد البوشيخي، مطبعة أنفو-برانت، الليدو- فاس، طبعة الثانية، 2003، ص: 16.
- (8) - نظرات في المصطلح والمنهج، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 15.

- (9) - مجلة دراسات مصطلحية، عنوان المقال: مفهوم الإحصاء في الدراسة المصطلحية، بقلم الدكتور الفاسي الفهري، معهد الدراسة المصطلحية، العدد الخامس، 2005، ص: 18.
- (10) - النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح، الدكتور علي قاسمي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز بفاس. عدد: 4، 1988م، ص: 15.
- (11) - نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، مطبعة أنفو- برانت الليدو- فاس، 2002. ص: 9.
- (12) - دراسات في علم المصطلح الحديث، إدريس الخرشاقي، الطبعة الأولى، (د.ت)، ص: 2.
- (13) - المرجع نفسه، ص: 4.
- (14) - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، مطبعة أنفو- برانت، الليدو- فاس 2002م. ص: 7-8.
- (15) - المصطلح: خيار لغوي وسمه حضارية، للدكتور سعيد شبار، كتاب الأمة، السنة العشرون، العدد 78، أكتوبر 2000م. ص: 37.
- (16) - صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، مدينة نصر القاهرة، الطبعة التاسعة. م1، ص: 10.
- (17) - تفسير التحرير والتنوير، محمد طاهر عاشور، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان. (د.ط)، (د.ت). م1، ج 1، ص: 650.
- (18) - صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني، م 26، ج 3، ص: 237.
- (19) - معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، ص: 55-54.
- (20) - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 8.
- (21) - المصطلح القرآني: "يقصد به إجمالاً: كلّ لفظ قرآني عبّر عن مفهوم قرآني، وتفصيلاً، كلّ لفظ من ألفاظ القرآن الكريم مفرداً كان أو مركباً، اكتسب داخل الاستعمال القرآني خصوصية دلالية قرآنية جعلت منه تعبيراً عن مفهوم معين، له موقع خاص داخل الرؤية القرآنية ونسقها المفهومي"، القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 20.
- (22) - نظرات في المنهج والمصطلح، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 15-16-17-21.
- (23) - مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتورة فريدة زمر، مطبعة أنفو برانت- الطبعة الأولى، فاس 2001. ص: 30.

- (24) - مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ دراسة مصطلحية موضوعية الدكتور محمد البنعي، إشراف: الدكتور الشاهد البوشيخي، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى 2013م. ص: 58.
- (25) - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 7-8.
- (26) - مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتورة فريدة زمرد، ص: 79.
- (27) - مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتورة فريدة زمرد، ص: 80-81.
- (28) - مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، دراسة مصطلحية موضوعية، الدكتور محمد الينبوعي، ص: 14.
- (29) - المرجع نفسه، ص: 62.
- (30) - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية، الدكتور الشاهد البوشيخي، مطبعة انفو-برانت، الليدو فاس، الطبعة الثانية 2009م. ص: 2.
- (31) - مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم وأبعاده الحضارية، الدكتور عبد المجيد النجار ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية. (كلية الآداب - سايس، شعبة الدراسات الإسلامية- فاس، ومعهد الدراسات المصطلحية كلية الآداب- ظهر المهرز- فاس، 2009م. ص: 290.